

المعجم التاريخي للغة العربية

إجراءات منهجية

للدكتور صالح بلعيد

المقدمة :

اللغوية مقرّاً ونفقةً ورئاسة، فأعظم به من تبين! واليوم على عاتق اتحاد الجامعات العربية إنجاز المشروع العملاق، مشروع العصر؛ وهو إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية. مشروع تقادمت فكرته وطالت غربته، وتأتي أيادٍ كريمة تبعثه، وهذا من خلال المكرمة السخية لسمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتحاد، حاكم الشارقة الذي تبرّع بتمويل بناء مقرّ لاتحاد الجامعات اللغوية العربية بالقاهرة، بالإضافة إلى تمويل إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية. ومن هذه المكرمة من يد سموه تأسست هيئة المعجم التاريخي، ومقرّها القاهرة كما تأسست هياكل الهيئة، ونُصبت في مقرّ المجمع اللغوي بالقاهرة يوم ٢ فبراير ٢٠٠٨م.

من هنا نقول: إن المعجم

أبدأ هذه المقاربة باقتطاف أربعة أبيات من قصيدة قالها الشاعر محمد البرعي في حقّ مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وقوله الحق والصواب، إذ يقول:

يا مجمع الفصحى وحصن تراثها

لا زلت ظلاً للبيان ظليلاً

قد كنت منذ نشأت قوة عزّها

تقضي لها حقاً عليك نبيلاً

واليوم قد هبت عليها عجمة

كانت على لغة البيان وبيلاً

فانهض وخذ بيد البيان فإنه

لم يرض غيرك للبيان كفيلاً

هذا المجمع اللغوي الذي فكّر

وقدّر، ثم طمح يوم تأسيسه في إنجاز

مشروع المعجم التاريخي للغة العربية،

ولكن ظروفًا حالت دون ذلك، واستبدل

بالمشروع إنجاز (المعجم الكبير)،

ويكبر الإجلال في هذه المؤسسة

اللغوية الكبيرة تبنيها لاتحاد المجامع

التاريخي للغة العربية مجال للثقافة والتاريخ والحضارة والمعارف العربية وسيكون مرآة للحياة العربية بكل جوانبها، وسيربط حاضر العرب بماضيهم، فهل يصبح الحلم حقيقة؟ وهل نعمل بالفعل والقوة على تجسيد مَعْلَمنا الحضاري المعاصر؟ وهل يمكن الإلمام بكل تراثنا في هذه المَعْلَمَة الجامعة؟ وهل نكون في مستوى التحدي لترسيخ عربيتنا في شموخها بوضع آليات الانطلاق؟ هل تفعل آليات اللغة العربية من خلال المعجم التاريخي؟ هل نستطيع إنجازَه في أقرب الآجال، وفي أقل وقت مما هو متصور؟ وهل استُغِلَّت التقانات المعاصرة؟ هل نطمح لغد أفضل بوجود مدونة اللغة العربية في أشكالها المتنوعة؟ هل يمكن أن نستدرك التأخير؟ هل وهل... وما ذلك بعزيز إذا صدقت النيات وشدّت العزائم.

لقد شرفني اتحاد المجامع اللغوية العربية، ومجلس الأمانة للمعجم التاريخي للغة العربية بتعييني عضواً

في المجلس العلمي للمعجم التاريخي للغة العربية؛ نظراً للجهود العلمية التي أقدمها لخدمة اللغة العربية، ولما أنجزته من أعمال وخبرات في مجال المصطلح والمصطلحية وصناعة المعاجم. ومن خلال هذا التعيين الذي يعني أن مجلس الأمانة فسح لي مكاناً في هذا العمل العلمي الموقر، تحت مظلة مشروع القرن المعاصر، وأعتبر بصدق عن هذه الثقة الغالية التي طوّقت عنقي، وأرجو أن أكون في مستوى هذا الانتساب. وأعاهد نفسي على بذل جهدي لخدمة أغراض هذه المؤسسة؛ مرتسماً خطى السابقين ما لم تكن خطأ، ومواصلاً العمل إلى أن يأتي أكله.

لقد حضرت الجلسات العلمية الأولى للمجلس العلمي في مقرّ المجمع اللغوي بالقاهرة بالزمالك في الأيام من الثاني إلى الثامن من فبراير ٢٠٠٨م، وضم المجلس العلمي السادة الأعضاء:

- كمال بشر، مديرًا عامًا للمؤسسة،
مصر
— إبراهيم بن مراد، عضوًا،
تونس
— أحمد بن محمد الضبيب، عضوًا.
السعودية
— أحمد شفيق الخطيب، عضوًا.
فلسطين
— بكري محمد الحاج، عضوًا.
السودان
— رمزي منير البعلبكي، عضوًا.
لبنان
— سمير محمود أحمد الدروبي، عضوًا.
الأردن
— صالح بلعيد، عضوًا.
الجزائر
— عبد الهادي التازي، عضوًا.
المغرب
— علي الصادق حسنين، عضوًا.
ليبيا
— علي القاسمي، عضوًا.
العراق
— مازن المبارك، عضوًا.
سورية
- محمد حسن عبد العزيز، عضوًا.
مصر
— مصطفى حجازي عضوًا.
مصر
— ممثل عن المجمع العلمي العراقي.
غائب
ولما بدأ النقاش حول تعريف
المعجم التاريخي، وعن أهدافه،
وخصوصياته وممنته، وكلّ متعلقاته،
رأيت سوء فهم عند بعض الزملاء،
كما رأيت تضارب الآراء لدرجة
التباين ولقد بدت صورة غير مستقرة
عند بعض أعضاء المجلس العلمي،
حيث يغفل البعض منهم الآليات العملية
لوضع الترتيبات الأولية لهذا المشروع
الطموح، كما يفترق بعضهم إلى تمثّل
فكرة المعجم التاريخي بقوة، إضافة إلى
غياب المفهوم العلمي لخصائص
المعجم التاريخي ووظائفه وأهدافه
وغياب الفروق المنهجية بين المعجم
التاريخي ووظائفه وأهدافه والمعاجم
الخاصة أو العامة، والفروق بينه وبين
دوائر المعارف، وكذلك الفروق بينه

وسوف يقع سدّها، كما سيقع استدراك المنسي، وإضافة الجديد الطارئ، والمهمّ الآن أن تحصل الانطلاقة الواثقة.

وسوف أركّز القول على الخطوات الإجرائية والمنهجية التي تجعل المشروع يدخل المراحل العلمية والعملية بخطى واثقة وقوية، وفي نفسي رغبة صادقة في تقديم ممارسة بسيطة لحرفة المعاجم، والتي تعمل على تحسين الأداء العلمي للمعجم التاريخي للغة العربية، وهذا عبر الطموح الطافح لتحقيق المشروع القومي المعطل منذ أمد بعيد، وسبق أن دُعيت في ملتقيات الذخيرة العربية إلى تكاتف جهود الذخيرة العربية - التي تُتجزّ في الجزائر - مع المعجم التاريخي للغة العربية، ليفيد كل منهما من الآخر، أو دمج المشروعين في مشروع عربي واحد؛ كي لا يتكرّر العمل، وتضيع الجهود والأموال.

لقد رأيت ضرورة الإدلاء بما بصّرت به من دراية متواضعة في أمر

وبين الموسوعات، بلة الحديث عن الجوانب الأخرى من مثل: عدم وضوح منهج الحيازة، وعدم وجود طريقة البرمجة، وعدم تقدير أهمية المشروع ومدة إنجازها. وقد يكون البعض منهم معذوراً لعدم اختصاصه، وبعضهم لم يكن على اطلاع بفكرة المعجم التاريخي بتاتاً. ومن هنا انبريت بهذا العمل لتوضيح احتياج اللغة العربية للمعجم التاريخي، وتحديد مفهوم المعجم التاريخي، وخصائصه وأهدافه، وكيفيات الإنجاز، مروراً بالإجراءات التي رأيت ضرورة تبنيها في المشروع في مبدأ الأمر إلى أن يستجدّ الجديد.

كان في نفسي رغبة في تقديم مقاربة علمية باستقراء الأفكار السابقة والتصوّرات التي قدّمت في مجال المعجم التاريخي؛ بغية التوضيح والإسهام في إزالة ما كان غامضاً، على جانب ضرورة وضع المعجم على محكّ الاختبار؛ بالشروع فيه بعد هذا التأخير الذي مسّه، ولا شك أن عمليات الشروع سوف تكشف عن ثغرات،

الفكرة واستتار. وسأقسمه إلى جزأين أساسيين هما:

- الجزء النظري: وفيه أستعمل لغة المرافعات والمنافحات بالحديث عن احتياجنا للتأريخ للغة العربية، وما يلحق هذا من تعريف، ومواصفات، ووظائف المعجم التاريخي.. وما يتبعه من استراتيجيات وظيفية تسهل عملية إنجاز معجمنا التاريخي، وهذا بِوَعْي الأهمية التاريخية والعملية لهذا المعجم، والنقيصة الكبيرة التي تعاني من عدم وجوده اللغة العربية، ودون مقارنة العربية باللغات الأخرى التي تحتكم إلى المعجم التاريخي، والعربية لا تتوفر عليه، ويضاف إلى ذلك أن كل تأخير في عدم التأخير للعربية يسبب نقصاً في المعلومات.

- الجزء التطبيقي: سيكون الحديث فيه عن الإجراءات العملية والمنهجية العملية والتطبيقية التي أرى ضرورة تبنيها في هذا المعجم، وما هي مستلزمات مراحل الإنجاز إلى غاية الإخراج، وسوف أتجاوز ثقافة الكلام،

المعجم التاريخي للغة العربية فالجهد جبار، يحتاج إلى سواعد ثقل الحديد، ويحتاج إلى انطلاقة صارمة في مسألة وضع المنهجية الدقيقة والبرمجة الآلية، فهما باب الوقوف على الأرض الصلبة، فإذا اختلّ المنهج أو البرمجة أو الطريقة يبقى العمل ناقصاً، وتحقق به آيات النكران. ولكننا الآن نحتاج في هذه المرحلة إلى وجوب الانطلاق في مشروع القرن، أو مشروع الألفية الثالثة، فالانطلاق هو الذي يوضح بعض المعطيات التي يجب أن تسلك، كما يجلي الكثير من الالتباسات، فلا بد أن ننطلق في معلم حضارتنا، وسياج هويتنا في القرن المعاصر.

إن عملي هذا إسهام في إبداء رأي في كفايات الإنجاز، وفي المبادرات والأفكار والخطوات التي تتخذ في عمل المعجم التاريخي وهو في خطواته الأولى إلى المرحلة النهائية، وعسى أن أفيد ببعض الأفكار التي قد تعمل على التصويب أو التوجيه، فما خاب من استشار، ووسع

وتقديم التوصيات، إلى ثقافة الفعل والإنجاز، والاتجاه إلى تحديد المشروع وصناعة برامج، وإنتاج تقنياته، وهي الخيار الأمثل لدخول مسارات الفعل بالقوة.

الجزء النظري

إن تدوين تاريخ اللغة العربية يعني تدويناً لعبقرية لغة لا مثيل لها في التاريخ، لغة شهد بعظمتها المعاندون، وخدمها بقوة عرب وكثير كثير من العجم، وهذا للخصوصية التي تحملها ولا توجد في اللغات الأخرى؛ لغة خدمها كثير من المستشرقين، وأنصفها بعضهم؛ فهذا جرونباوم يقول في مقدّمة كتابه (تراث الإسلام) "إن اللغة العربية هي محور التراث العربي الزاهر، وهي لغة عبقرية لا تدانيها فيها لغة في مرونتها واشتقاقها، وهذه العبقرية في المرونة والاشتقاق اللذين ينبعان من ذات اللغة جعلتها تتسع لجميع مصطلحات الحضارة القديمة بما فيها من علوم وفنون وآداب، وأتاحت لها القدرة على وضع المصطلحات الحديثة

لجميع فروع المعرفة" كما يقول المستشرق الألماني بروكلمان الذي أرخ للفكر والتأليف العربيين من العصر الجاهلي حتى الآن في سلسلة كتبه الشهيرة تاريخ الأدب العربي، يقول: "إنه بفضل القرآن بلغت اللغة العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أي لغة"^(١)، فإذا وقع التنويه باللغة العربية من قبل المخلصين الذين يعرفون القيمة العلمية والروحية لهذه اللغة، فيعني ذلك الإنصاف ثم الإنصاف، كما لم ينكر المعاندون ذلك، رغم ما يبذونه من أقوال على هذه اللغة التي يرون فيها — في الوقت المعاصر — أنها لا تلبي آليات العصر، وأنها تجاوزها الوقت، ويعني — في نظرهم — التخلي عنها؛ لأنها لا تستجيب لآليات المعاصرة. ويقبحون فيها هذا البعد الزمكاني الذي لا يوجد في كل اللغات، ومن هنا يرون فجوة كبيرة في صعوبة السيطرة على مدوّنتها الطويلة والضخمة، ويعني ذلك صعوبة التأريخ لها. يمكن أن نقول: إنه ليس بالأمر

اليسير السيطرة على مدونة اللغة العربية في القريب العاجل، فليست المسألة سنة أو سنوات، فالعمل يحتاج إلى سنوات طوال، وإلى أحقاب متعاقبة؛ حتى تستوي الأمور خلقاً سوياً، ولكن ليس بالمستحيل حصول ذلك، وليس صعباً ربط الحلقة القديمة بالمعاصرة، وكلّ ما نحتاجه هو الجمع المحوسب الذي يردم هذه الفجوة الطويلة، فمن السهولة أن نتابع أعمال السلف في متابعة الجمع الشامل الذي خضعت له اللغة في البدايات الأولى، وهذا ما يراه الدكتور صادق عبد الله أبو سليمان؛ الذي يقترح استدراك ذلك عن طريق الحوسبة الآلية، فيقول " : ويتمّ بمراجعة جمع القدماء لها، ومتابعة جمعها بعد عصور الاحتجاج حتى اليوم، ومواصلة هذا العمل بعده، وسيوفر هذا الجمع المحوسب للغة العربية معلومات لم يكن من السهل الحصول عليها بالعمل البشري المحض؛ حيث سيظهر الاستقرحساء المحوسب للغة العربية تأريخاً شاملاً

للغة في المفردات والتراكيب والأساليب، وسيكشف عن قديمها الذي خفّ استعماله أو انقرض أو استمرّ في العصور التالية، وسيفصح عما جدّ فيها في مراحل العربية المتعدّدة، وليس لها وجود في المعجمات العربية التي تقيّد واصفوها بفلسفة اللغويين القدماء في دراسة اللغة، ولا سيّما تقيّدهم بأصول نظرية الاحتجاج، حيث سيعين على الكشف عن ملامح التغيّر في اللغة كظهور ظواهر صوتية أو صرفية أو تركيبية جديدة واختلاف دلالات الألفاظ والتراكيب في العصور أو البيئات العربية المتنوّعة، وسيتمكن العلماء بأوامر محوسبة من ترتيب اللغة زمكانياً، وتصنيفها سياقياً وعلمياً.. إلخ" (٢) وهكذا نرى أنّه لا يوجد المستحيل في تقادم عهد العربية أمام التقنيات المعاصرة، فيمكن استدراك التأخير إذا وقع الاهتمام بالرقمية المعاصرة، وتثوير تشقيق خصائص اللغة العربية ضمن الفعاليات التي حوسبت بها اللغات في الوقت

المعاصر، وهذا ما نراه على سبيل المثال في معجم الذخيرة الفرنسية أو الموسوعة البريطانية .. إن المعجم التاريخي المنتظر فعلاً معجزة العرب أجمعين، فيحتاج إلى تناول المسائل عن طريق الجمع والضمّ والعمل الدؤوب، والطلب الحثيث من بدايته إلى النهاية: تصنيفاً ونقلًا وتدوينًا وتفسيرًا وشرحًا وسردًا وإلحاقًا واستقراءً وتخريجًا .. كلّ لفظ مهما علا وإنحط، كان مستعملاً أو مماتاً مهجوراً وعقماً ونادراً أو نائياً.. يحتاج المعجم التاريخي المنتظر إلى تتبّع المادة إحصاءً وعداً وشرحاً وتفصيلاً، وتعليلاً، وتأويلاً .. كما يحتاج المعجم التاريخي إلى تناول كلّ لفظة بدراسة تطورها ودلالاتها، ومدلولها، وبنائها، واشتقاقها، ووزنها، وتصريفها، وإلحاقها، يحتاج كلّ لفظ إلى مراعاة اعتباطيته، وتكييفه، وتصويته، وتعقيبه، واستدراكه، وتمكينه، وتذكيره، وتأنيثه، وإفراده، وتثنيته، وجمعه، وتقبيده، وإطلاقه.. عمل المعجم التاريخي ليس

المقصود منه الفهرسة، بل يستهدف دراسة التطوّرات الدلالية عبر العصور بالتدقيق والتمحيص وإعمال النظر.

١- احتياج العربية إلى التأريخ للغة العربية: إن المعجم التاريخي ضرورة لا غنى عنها، فهو الأداة الوظيفية المتعدّدة الأهداف، وذاكرتنا التي تضبط رصيدنا المعرفي، ومرجعنا الأمين؛ يؤرخ لقضايانا، ويوصلها من خلال ما فيها من شواهد على نمو اللغة العربية الطبيعي والمجتمعي. والتأريخ للعربية يجب أن يأخذ أبعاده القومية والعلمية والتربوية، بغية مسايرة الوضع الحالي، ومعطيات القرن الحادي والعشرين، ومن هنا فإن المعجم التاريخي:

* سيؤكد هويتنا من خلال دراسة اللغة العربية، والعمل على التأريخ لها، ولا شك أن لهذا دوراً في التعبير عن تلك الهوية، باعتبار رصيد الأمة العربية الفكري، وذاكرتها اللغوية والثقافية التي هي اللغة العربية.

* ستوضع العربية موضع اللغات العالمية الحيّة التي أنتجت معاجمها

التاريخية.

* سوف يُظهر لنا المعجم التاريخي ما طرأ على اللغة من تطوّر، دون أن تخرج عن نظامها اللغوي العام.

* سيؤكد المعجم التاريخي الروابط اللغوية الجامعة بين مستعملي اللغة العربية، ويوضح مدى ارتباط هذه اللغة بأهلها وحضارتهم، وبالأجناس الذين خدموها عربًا كانوا أم غير عرب.

* سيؤكد المعجم أصالة اللغة العربية وعمقها السحيق.

* سيساعد على دراسة اللغة العربية دراسة علمية ووصفها وصفًا لسانيًا دقيقًا، ويجيبنا عن قدمها بين اللغات العروبية.

* سيعرفنا المعجم التاريخي العربية القديمة، وعلاقتها باللغات العروبية (السريانية النمودية، الصفوية، الحبشية، النبطية، العبرية، الكنعانية..).

* سيدحض المقولة الخاطئة: السامية أم اللغات.

* سيكون المعجم التاريخي مرجعًا لكل المطالب، وسيلبي رغبات كل باحث في

اللغة العربية.

* سوف يجيب كلّ سائل عن أية لفظة، شاهد، مسكوك، مثال، وصف، حيوان، جماد.. قيل في اللغة العربية.

* سيمكن من تدقيق قواعد اللغة العربية، كما يساعد الباحثين في كلّ الاختصاصات من إنجاز أبحاثهم بشكل دقيق.

* سيمكننا من تدقيق معاجمنا المدرسية، ومن تصحيح شواهد العربية.

* سيمكننا من الوصول إلى المادة الأصل في اللغة العربية، والوصول إلى كلّ المظان، ويكون مادة لوضع المعاجم المتخصصة.

* ستدخل العربية عبره ميدان الصناعة المعجمية.

* بإنجازنا لهذا المعجم يمكن أن نقول: إننا نستطيع تحرير تاريخ معجم اللغة العربية بصورة متكاملة متصلة الحلقات في معجم مستوعب لكلّ الجوانب؛ فيه يكتمل وعينا بلساننا المبين، ونذكر صراعه من أجل البقاء والازدهار.

* إنّ التأريخ للغة العربية لذاتها

يستدعي تأريخاً يستتبع مراحل نشأتها في البداية، فنحاول تعرّف ظروف نموها وارتقائها وتغيرها وتطورها، من خلال ماضيها الطويل بمنعطفاته العديدة وخطوطه المتشابكة المتعددة، وتحدياته الكثيرة المتلاحقة. ومن خلال كلّ هذا نرى كيف صارت اللغة العربية من أجل البقاء والازدهار، وكيف لا يزال هذا الصراع مستمرّاً. فعندما نُورِّخ للغة العربية لا نقف عند تصوير الوضع الماضي والحاضر، فالعربية غنيّة بمعجمها كلّ الغنى، كما يقول نولدكه: "إنّا لِنَمْلِكُنَا الإعجاب بغنى معجم اللغة العربية القديم..". بل نذهب إلى ما هو أبعد؛ فنستشرف آفاق مستقبلها، ذلك ما يخطّط لدعم ما يتوقّع في المستقبل، وهذا ما يطرحه الأستاذ محمد سالم الجرح، في بحث له عنوانه: "التأريخ للعربية، أهميته ودراساته ومناهجه". فمن خلال سؤال طرحه: لماذا نحتاج إلى التأريخ للعربية؟ ويردّ ضرورة التأريخ إلى أسباب ثلاثة:

١- الربط بين اللغة العربية المجيدة، والقرآن الكريم، ثمّ التكريم والتقدّيس للذات نالتهما العربية من جرّاء هذا الربط.

٢- معرفة تاريخ العربية الذي ييسّر علينا بيانها، وهذا على خلاف دراسة نحو اللغة أو صرفها أو بلاغتها أو عروضها أو معجمها وأدبها.

٣- التّصوّرات المتاحّة عين الظاهرة اللغوية، تحفزنا إلى التّأريخ للغة، فتصوّر لنا انتماء اللغات الإنسانية إلى سلاسل وأسر وفصائل ومجموعات، وهذا أمر لم يتمثله الأقدمون على نحو ما نتمثله الآن. (٣) إنّ التّأريخ للغة العربية يعمل على:

* تعميق فهمنا لطبيعة اللغة العربية العريقة.
* تعرّف كلّ ظروفها وأصولها، وما عرفته من تفاعل مع غيرها، وتعرّف مستوياتها. وإبراز جوانب تميّزها.
* التمكين الجيّد من حلّ ما يواجهها من صعوبات.

٢-١- تعريف المعجم التاريخي:

إنَّ المعجم في التعريف العام هو: ديوان يجمع بين دفتيه مفردات اللغة مرتبة وفق نظام معيّن، ومقرونة بضبطها وشرحها والاستشهاد عليها. إنَّ الملامح اللغوية هي التي أود أن أشير إليها في التعريف التقليدي، فالمعجم التاريخي يعنى بالتطور التاريخي الذي يدور في فلك التتبع لمدلول الكلمة عبر التاريخ، من تطور، وتدرج، وحركة، وتنوّع سياقي، مؤيداً ذلك بالشواهد على اختلاف أنماطها وبيئاتها. فالمعجم التاريخي ديوان العربية؛ لأنّه يضمّ ألفاظها وأساليبها، ويبين تاريخ استعمالها أو إهمالها، كما يظهر التطور الحاصل في معانيها ومبانيها عبر العصور. وهناك تعاريف كثيرة حول هذا المعجم، وإنّ ما يقع عليه التركيز في هذا التعريف مستخلص من خلال أهداف وخصائص المعجم التاريخي، وما أراه من سبيل يخدم غرض المعجم التاريخي. يعرفه الأستاذ علي القاسمي "... هو نوع من

المعاجم يرمي إلى تزويد القارئ بمعلومات عن أصل الألفاظ وتاريخها ومعانيها من خلال تتبّع تطورها منذ أقدم ظهور مسجّل لها حتى يومنا هذا، وذلك يعني أمرين:

الأول: أن يضمّ المعجم التاريخي كلّ لفظ استعمل في اللغة، سواء أكان يُستعمل في الوقت الحاضر أم لا.

الثاني: أن يوثّق المعجم تاريخ كلّ لفظ في شكله ومعناه، واستعماله ممثلاً لهذا اللفظ بعدد من الشواهد^(٤).

والمعجم التاريخي في دلالته اللغوية يبحث عن الأصول اللغوية، والعلاقة العضوية بالأصول القديمة؛ حيث يسرد المسيرة التاريخية منذ نشأتها، بل ومنذ ولادتها إلى وقتنا الحاضر. ومن هنا يجب أن نغوص في تراثنا؛ بدءاً من النقوش، وما خُطّ على أوراق البردي، وما كان مكتوباً على الورق، وما حُقّق، ما يزال مخطوطاً، وأن نجلي المادة اللغوية من حروفها إلى جملها، ومن أفعالها إلى أسمائها

العربية لسان هو أوسع الألسنة لكثرة انتشاره وشموليته، فقد كتب فيه العربي وغير العربي.

ثانيًا: مراعاة خصوصية هذا اللسان؛ من حيث قدمه وعلاقته باللغات العروبية القديمة، إلى جانب أنه لسان الوحي والناموس.

ثالثًا: لسان له سلطان عرب الجنوب عامة، ولسان حمير خاصة، ولسان عرب الشمال الذي أصبح مثلاً يُحتذى بعد القرن السادس الميلادي.

رابعًا: لسان فيه ألفاظ أميتت، وألفاظ هُجرت، وألفاظ تبدلت وتغيّرت دلالتها، ألفاظ تحتاج إلى قيد شواردها. ومن هنا فإنّ المعجم التاريخي للغة العربية:

*يسجل كلّ لغات (لحون) العربية المكتوبة، بدءًا من القدامى، فيبدأ من تلك اللغة المدوّنة والتي تمتدّ جذورها من دوحة لغة عاد وطسم وجديس ويعرب وقحطان وجُرهم وقطراء، وغيرها من القبائل العربية، فيسجل لغة عدي بن زيد في الحيرة، ولغة أمية بن

ومن جذورها إلى متمّاتها، ومن أصولها إلى مستحدثاتها، ومن مرفوعات إلى منصوباتها، ومن مجروراتها إلى مسكوناتها... إنّ المعجم التاريخي هو ديوان لكلّ الأحداث، ولتاريخ اللغة العربية في مختلف التخصّصات، وسجل واقعي للمعارف والخبرات، وللحياة عامة بكلّ مظاهرها، فهو رصد دقيق لتوظيف الكلمات العربية في كلّ الكتابات في مختلف القارات، وتصفّح لمعنى الكلمات من خلال نصوصها وسياقاتها عبر الزمان، بكلّ استفاضة وشمولية بتغطية كلّ المجالات، وبالرجوع إلى كلّ النصوص المحرّرة باللغة الفصيحة.

ولا بدّ أن نقف موقفًا دقيقًا لشرح معنى المعجم التاريخي بكلّ تفصيل، وهاكم ما استطعت حصره:

أولاً: نضع في الاعتبار أنّ المعجم التاريخي للغة العربية ليس معجمًا عاديًا، ولا موسوعة مطوّلة، بل هو ديوان لغة العرب؛ باعتبار أنّ اللغة

والاجتماعية والنفسية، دون أن ننسى السير وكتب الطبقات وكتب المعارف. * لا يترك كتب معاني القرآن ومجازه، ومشكله، وإعجازه، وغيرها من المصادر، سالكا التاريخ من القديم، والتدرج في التاريخ إلى الآن.

* يتتبع كتابات الأئمة وعلماء العربية السالفين واللاحقين والخالفين حسب التسلسل المنطقي التاريخي.

* لا يترك قول شاعر من الشعراء، فيجمع ألفاظ شعراء المعقّات، وسائر الجاهليين والشعراء الجاهليين المتقّفين، والشعراء المقلّين والمخضرمين، وسائر الشعراء القرشيين، وشعر المجهولين والشعراء الأكثر احتياجاً بشعرهم، بدءاً بالأدنى فالأدنى.

* لا يترك لفظة من الألفاظ الموسومة بالوحشية والمتناهية في الغرابة والندود، قصد التماس الأصالة والفطرة.

* يعود إلى لغة النثر والشعراء: صعاليكها وشذاذها وخلعائها وعماريطها والشعراء اللصوص.

أبي الصلت في الطائف، وكل من عاشوا في بلاد الحيرة، وفي بلاط الغساسنة في الشام، فهو معجم يسجل ما توارثناه من عربية الرهبان واليهود والنصارى وأهل الفرس.

* يعمل على تشقيق أثر اللفظ من فصيلة ما من فصائل اللغات المنتشرة على صعيد شبه الجزيرة العربية، ثم خارج الجزيرة العربية.

* لا يتوخى الاختصار؛ لأنّ غرضه تسجيل وتصنيف وعدّ وتحليل كل لفظ عربي.

* معجم لا يترك الرسائل ولا التصانيف المطوّلة والأسفار الكثيرة، ولا يهمل الغريب.

* معجم لا ينسى تلك التصانيف التي ما زالت رهينة القماطر حبيسة القراطيس؛ الموزعة في خزائن المكتبات بجميع المخطوطات.

* لا يستثني المنظومات والألبيات، وسائر الصنائع السجعية والمقامات، وما نجده في الأسفار الأدبية والتاريخية والعلمية والاقتصادية والقانونية

*يلاحق كل صغيرة وكبيرة مهما تلاهقت الأعصار، وتواردت الأدهار.
*وأدلف من جانب آخر للقول: إنَّ المعجم التاريخي للغة العربية رصيد كبير عظيم جمَّ ومهم، يحتاج إلى تدوين يضع حدًّا للخلافات الدلالية واضطرابها وخبالها، ومن حيث وزنها وإفرادها وجمعها.

٢-٢- خصائصه: يتناول المعجم التاريخي التحديد الدقيق للكلمات ومدى استمرارها أو اختفائها، كما يعمل على تحليل لغة كاتب أو شاعر أو قاص أو روائي أو عالم أو خطيب أو طبيب أو جراح أو طيار أو مهني... وإحصاء مفرداته بكيفية آلية، ويعرّف عبد المنعم عبد الله محمد المعجم التاريخي قائلاً: "ديوان يجمع مفردات اللغة مرتبة وفق نظام معيّن، ومشروحة مع مراعاة التطوّر الدلالي للفظ، بدءاً بالمعنى الحسي، وتدرّجاً معه عبر التاريخ في ضوء الشواهد المتنوّعة مع الإشارة إلى مظهر التطوّر قدر الإمكان"^(٥).

إنَّ المعجم التاريخي المنشود يستفيد

من مثالب المعاجم القديمة، رغم اختلافه عنهم، فلا يقف عند عصر، ولا يدرس الكلمة مجردة عن نصوصها، ولا يضيق متنه بكلّ ما دون في العربية، فيضمّ القديم كلّ، ويستوعب الجديد، ويبقى مفتوحاً لتعاقب الأجيال، يعمل على دراسة المستوى الدلالي للغة في ضوء مباحث وقضايا علم اللغة التاريخي؛ بالرجوع إلى كلّ النصوص العربية، والإشارة إلى مصادرها، ويدلّنا على الاستعمال الأول، ومن مستعمله، وأين، ومتى، ومدلول اللفظ، وشيوعه أو عدم الشيوع. وإنَّ المعجم المنشود كذلك لا يقف عند حدود جمع التراث، بل يستجيب للمعاصرة، ويكون شاملاً وسهلاً ومجيباً لكلّ المرغوب فيه، باستغلال التقنيات المعاصرة "ومما لا شكّ فيه أن التطوّر العلمي والحضاري والمعرفي الذي وصل إليه العالم اليوم، والتقدّم في وسائل البحث وأدواته، يضاف إلى ذلك الحاجة الشديدة إلى اختصار الوقت والحرص عليه؛ أمام التسارع الكبير فيما ينشر

التاريخية عند الأمم التي سبقتنا في إنجاز معاجمها التاريخية، فهو يُظهر دلالات الكلمات، ويرتب المادة (المداخل الأساسية) ثم الفروع (المداخل الفرعية) ويعتمد الجذور في تصنيف المادة؛ ويظهر المعاني الحقيقية للألفاظ العربية في صورتها الأولى، وفي مختلف تطوراتها، وأثر الاحتكاكات اللغوية، وعامل الاقتراض من اللغات الأخرى ويستدعي الوصول إلى كل النصوص، وفي مختلف البلدان والبيئات، ويتعرض إلى كل المجالات والمفاهيم، وإلى المشترك، والمترادف، وإلى الصيغ المركبة والمسكوكات، والاستعمال الحقيقي والمجازي، وغيرها من الصور البيانية.

٣- أهدافه: يبدو لي أن للمعجم عدة أهداف، يمكن تلخيصها في هذه النقاط.

* الإطلاع على كلام العرب وحضارتهم:

* معرفة ما حصل من تطور في الدلالات العامة والخاصة لكل لفظ.

في اللغة اليوم، وحاجة الباحثين إلى متابعة ما أمكن منه، كل ذلك وغيره يتطلب إعداد معجم عربي معاصر؛ يواكب النهضة المعاصرة، وفي متطلباتها، ويعين الباحثين، ولا يستهلك وقتاً طويلاً عند الرجوع إليه، ويشمل جميع الألفاظ، ويعتمد منهجاً دقيقاً في إيراد المعاني وترتيب الألفاظ، ويفيد من التطور الثقافي لتسهيل عملية الرجوع إليه^(٦) هذا من جهة، ومن جهة أخرى علينا الاحتجاج بالتجارب الناجحة، مثل تجربة معجم أكسفورد التاريخي الذي سجل مفردات اللغة الإنجليزية من حيث مبانيها ومعانيها تاريخياً، فقد غطى مفردات اللغة الإنجليزية تغطية شاملة؛ حيث سجل تاريخ استعمال الكلمة، ونمو معناها وصلاتها، كما سجل الكلمات المهجورة وحدّد آخر استعمال لها.

إن المعجم التاريخي له صفات حدّتها تلك اللقاءات العملية التي قامت من أجل التعريف العلمي للمعجم التاريخي، وكما تعرّفه أدبيات المعاجم

وردت فيه؟، وما السياقات التي وردت؟، وما المجال المفهومي الذي

تنتمي إليه، وكيف تطوّرت دلالتها؟.

* إفادة بمعلومات تخصّ الجذور.

* إفادة بمعلومات أجناس الكلام.

* إفادة بمعلومات عن الحروف والصيغ وما له علاقة بالعروض.

* إفادة بمعلومات تخصّ الجانب الحضاري أو العلمي.

* إفادة بكلّ ما له علاقة بالجانب اللغوي.

٤- إكمال الخطوات المنجزة

في مجال المشروع: يجب ألا نبخس بضاعة المتقدّمين فيمسا كتبوه عن المعجم التاريخي، أو كلّ عمل يخدم جانباً من جوانب المعجم التاريخي، فوجببت الاستفادة من كلّ الأفكار التي قدّمت منذ أن كان المشروع تصوّراً أو حلمًا. فالحضارة تبنى عن طريق وضع لبنة إثر لبنة، فيجب أن نكمل العمل حيث انتهى الأولون والمتقدّمون. تقول الروايات إنّ أفكاراً ظهرت قبل العالم المجمعى August Fischer (١٨٦٥م-

* معرفة ما هجر من ألفاظ وما استحدث.

* معرفة المصطلحات ودلالاتها عبر الزمان.

* معرفة المباني والمعاني والصيغ والتراكيب والجوانب البلاغية لألفاظ اللغة.

* معرفة الحقول الدلالية لألفاظ اللغة.

* معرفة اللفظ الأصل والمولد والأجنبي.

* معرفة زمن استعمال اللفظ، ومن استخدمه، وأين، وفي أي عمل، وعدد تكراره.

* الترسيخ العلمي للغة العربية، ووجود مدوّنتها الكبرى التي تغني عن كلّ المدونات العربية.

* إنجازنا للمعجم التاريخي، يكون أرضية لاستخراج المعاجم الآلية المتخصصة.

* إفادة بمعلومات تخصّ الكلمة العربية عادية كانت أو مصطلحاً.

* معجم يكشف عن تاريخ ظهور الكلمة، وبأي معنى، وما المصدر الذي

١٩٤٩م) حول ضرورة إنجاز المعجم التاريخي، ولكن لفيشر فضل إثارة قضية المعجم التاريخي للغة العربية أمام المؤسسات العالمية، وهذا أسوة بالمعاجم التاريخية المنجزة في اللغات الأجنبية، وكان هذا قبل انضمامه لعضوية مجمع القاهرة؛ حيث سبق أن عرض مشروعه على جمعية فقهاء اللغة الألمان في مؤتمرهم بمدينة سال سنة ١٩٠٧م، كما عرضه على مؤتمرين استشرقيين بكوبنهاجن وأثينا سنتي ١٩٠٨-١٩١٢م، وعندما عرض مشروعه في كوبنهاجن وافقت اللجنة المجتمعة على القرار التالي: "ترحب اللجنة الإسلامية لمؤتمر المستشرقين الأممي الخامس عشر بمشروع أ. فيشر الذي يرمي إلى تأليف معجم للغة العربية الفصحى يلائم روح العصر، ويعتبر عن موافقتها عليه بالإجماع"^(٧) كما نشير إلى أن المؤتمر الثاني قد حضره الأمير أحمد فؤاد، وإليه يعود تكوين مجمع فؤاد الأول للغة العربية^(٨) "ولقد استفاد فيشر من أعمال

مستشرقين، ومن نصوص مستقراة، ومن مؤلفات ومخطوطات عربية قديمة، وعرض فكرته سنة ١٩٣٦م على مؤتمر مجمع القاهرة، وأعطى له المجمع الضوء الأخضر لإكمال مشروعه "وبذل فيشر جهداً لوضع معجم عربي على هذا الأساس وقضى أربعين سنة في جمع مادته وتنسيقها، ولقد لقي عمله هذا اهتماماً في جميع البيئات العلمية. وعهد إليه مجمع اللغة العربية بنشر هذا المعجم، ولكن الموت حال بينه وبين إتمام عمله. وقد أحياه بعد ذلك من الألمان الأساتذة: شبيتالر، وكريمر، وأولمان في جامعة توبنجن Tobingen فقاموا بجمع المادة التي تركها فيشر، وغيره من العلماء، واستعانوا بعدد من أهل التخصص في هذا الميدان، وخرجت أول كراسة من تلك الأعمال سنة ١٩٥٧م (من أول حرف الكاف) .

لقد أصدر مجمع اللغة العربية بالقاهرة بعد وفاة أوجست فيشر جزءاً صغيراً، كما نشر "المقدمة التي كتبها

أكسفورد للغة الإنجليزية OEB، ومن هنا كان تصوّره يقوم على بناء المعجم اللغوي التاريخي للغة العربية، فقد سنّ منهجيات لعلاج المعجم التاريخي وحصرها في سبع وجهات نظر، واعتمد كل النصوص المكتوبة والمنقوشة والمخطوطة مهما كانت اختصاصاتها ومبانيها.

ومهما يكن من أمر إطلاق تسمية معجم فيشر المعجم اللغوي التاريخي، الذي يراه بعض الباحثين ولم نجد خلال بحثنا هذه التسمية، بل من بين المثالب التي يراها هؤلاء على عمل فيشر، إلى جانب أنه معجم تاريخي للأدب العربية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، أي يتعلّق فقط بعصر الفصاحة، ولكن ما تركه يعدّ وثيقة مهمة لا بدّ من الوعي بها.

ولا بدّ كذلك أن يؤخذ البعض منها موضع الحسبان في منهج العمل الطموح.

إذا كانت فكرة إصدار المعجم التاريخي مشروعاً منذ ثلاثينيات القرن الماضي، عندما تأسّس مجمع اللغة

فيشر، وقسمًا من حرف الألف إلى مادة أ ب د إلى جانب نشره لنموذج أعدّه في صورة تقرير عن المعاجم العربية المقدّمة، وفيه الدعوة إلى وضع معجم لغوي تاريخي، ولقد حدّد تصوّره لما ينبغي أن يكون عليه المعجم التاريخي للغة العربية؛ حيث يشتمل على كلّ كلمة وجدت في اللغة العربية بلا استثناء، وتعرض كلّ كلمة حسب وجهات نظر سبع هي: التاريخية، والاشتقاقية، والتصريفية، والتعبيرية والنحوية، والبيانية، والأسلوبية^(٩) وعلى الرغم من أنّ معجم فيشر لم يخرج إلى حيّز الوجود؛ فإنّ اهتمامه بنشر معجم للغة العربية قد حمّله على التققيب في أمهات كتب النحو العربي، وشروح شواهد له جمع المادة اللازمة لبدء عمله. وكانت حصيلة ذلك كتابه (الشواهد النحوية) الذي نشره في سنة ١٩٤٥م وهو يعدّ أداة طيّبة لدراسة هذه الشواهد^(١٠) إنّ للعالم فيشر تكوينًا جيدًا في مجال المعجمية، ويبدو أنّه كان ينوي بناء معجمه على منهجية معجم

العربية بالقاهرة سنة ١٩٣٢م، وقد وضع ضمن أهدافه فكرة إنجاز المعجم التاريخي الذي يؤرخ لكل ألفاظ اللغة العربية بدءاً من العصر الجاهلي إلى الآن، فنصّ المرسوم التأسيسي للمجمع في المادة (ب) على: "القيام بوضع معجم تاريخي للغة العربية، من خلال البحث الدقيق في تاريخ الكلمات وتغيّر مدلولها" وهذا تماشيًا مع اللغات الحيّة التي عملت على إنجاز معاجمها التاريخية من مثل: معجم أكسفورد للغة الإنجليزية، والمعجم التاريخي للغة الفرنسية، ومعاجم كثيرة للغات .. وهذه الفكرة كانت حلم بعض المثقفين العرب الذين رأوا أهمية إنجاز هذا المعجم، وهذا ما علّق عليه رئيس المجمع (محمود حافظ) بقوله: "أمنية قد تبدو بعيدة المنال، ولكنها عزيزة غالية، كثيرًا ما طافت بأخيلتنا وداعبت أحلامنا، وهي التصدي لإنجاز معجم شامل عملاق في مختلف فروع العلم والمعرفة، تتكاتف في عمله الدول العربية ومجامعها اللغوية وجامعة

الدول العربية التي سبق لها أن أسهمت بجهود معجمية في هذا السبيل^(١١) ورغم هذا الحلم فإن الفكرة قد تتجسّد إذا كان وراءها مطالب، فهذا الأستاذ مراد كامل ينبّه إلى ضرورة وضع معجم تاريخي للغة العربية، وهذا من خلال المقدّمة التي كتبها في كتاب جرجي زيدان (اللغة العربية كائن حي) ويقول: "ومن هنا نرى النقص في دراسة تاريخ اللغة العربية واضحًا، إذا وازنا بين ما تناولته كتب اللغة في الواقع، وما كان ينبغي أن تتناوله.. فمهمّة العالم اللغوي أن يحصر الألفاظ ويجمعها كلّ كلمة على حدة، عن أصلها واشتقاقها، وعن درجة قدمها، وعن وجودها في اللغة العربية وحدها، أو اشتراكها فيها مع أخواتها السامية أو بعضها، وعن مصدرها إذا كانت دخيلة أو مبتكرة أو مولّدة.. ومن تغيّر شكلها أو معناها، وبهذا يكون لكلّ كلمة في اللغة تاريخ وترجمة لحياتها ويتكوّن المعجم من هذه الكلمات وتواريخها"^(١٢). وإذا كان هذا رأي

الأستاذ مراد كامل فهو مصيب في قوله، والذي كان يجب أن يؤخذ الجد في البداية لكسب الوقت. ولا نعدم الجهد العلمي الذي قام به مجمع اللغة العربية من خلال الدورات الثلاث لدراسة المعجم التاريخي وهي:

الدورة الحادية والسبعون.

الدورة الثانية والسبعون.

الدورة الثالثة والسبعون.

وما قامت به الجمعية المعجمية التونسية من بحوث مهمة في ندوة لها حول: المعجم العربي التاريخي : قضايا ووسائل إنجازه. كما لا نغفل الجهد العربي المتميز للدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في مشروع: الذخيرة اللغوية، والذي أصبح يسمى (الذخيرة العربية) بعد أن نال موافقة جامعة الدول العربية في الدورة الخامسة عشرة بالجزائر سنة ٢٠٠٥م (إنترنت عربي)^(١٣) والاطلاع على ما ينجز في كثير من البلاد حول تاريخ اللغة العربية، ومنها المشروع الذي تنتجه فرقة بحث في جامعة إسرائيلية،

ثم الندوات العلمية التي أنجزت في بداية الألفية الثالثة؛ فنجد اللجنة الرباعية المشكلة من : إبراهيم بن مراد، ومحمد حسن عبد العزيز، وعلي القاسمي، وأحمد بن محمد الضبيبي؛ الذين قدّموا جهودًا كبيرة عبر لقاءات علمية، وتوصّلت اللجنة إلى تقديم الخطوط العامة لهيئة المعجم التاريخي، كما أنّ الدكتور محمد حسن عبد العزيز قد ألف كتابًا حول المعجم وسَمَّاه (المعجم التاريخي للغة العربية وثائق ونماذج) وفيه يحكي قصة حبّه وعشقه ودفاعه عن المعجم التاريخي. فكتابته قصة منافحة منذ مدة عندما كان يوجّه طلابه للتخصص في قضايا المعاجم، وقد ناقش تحت إشرافه ثلّة من الباحثين الذين قدموا مفاتيح كبرى للمعجم التاريخي، وله أفكار مهمة يستفاد منها. ولا بدّ من الاستفادة بقوة من مشروع الخطة العلمية للمعجم التاريخي للغة العربية الذي أعدّه الأستاذ علي القاسمي^(١٤)، بتكليف من اللجنة الرباعية في لقاءها بالقاهرة يومي

٤ - ٥ مايو ٢٠٠٦، فهو خطة إجرائية شاملة جامعة مانعة، ويجدر التنويه بها لما لها من شمولية ودقة علمية.

ومن خلال هذا التأريخ يجب الاسترشاد بتلك الأفكار، ليتواصل العمل بعمق، ولا نبدأ في كل مرة من جديد، أو نعود إلى نقطة الانطلاق، فنعم للمراجعة، لا للتراجع. ويحق التنويه في هذا الوقت بالحراك العلمي الذي أبداه اتحاد المجامع اللغوية العربية في تأسيس هيئة المعجم التاريخي للغة العربية. ولا جدال اليوم في أن مشروع المعجم التاريخي للغة العربية ضرورة قومية كبرى، ويستدعي الوقت الخروج من التنظير والأمانى إلى الملموس، بعدما وقع الإحساس بالحاجة إلى هذا المعجم مع الألفية الثالثة، وخاصة ونحن نملك الوسائل والطاقات البشرية التي بها يمكن الشروع في إنجاز هذا المشروع المعطل، والآن أصبحنا نملك هيئة المعجم التاريخي التي يجب أن تعضدها مؤسسات أخرى بالتشجيع

والتنويل والمساعدة العلمية أو التقنية، كما يتطلب الإسهام فيها كل العلماء من مختلف التخصصات.

٥- رفع الصعوبات : قبل الغوص في أعماق الموضوع يجدر بي الوقوف عند بعض الصعوبات التي تبدو لي بأنها تحتاج من البداية إلى الرفع النهائي كي لا يلتبس الأمر، ويبدو لي أن رفعها باب من أبواب وضع أرجلنا على الأرض الصلبة، وباب من أبواب الانشراح والنجاح في العمل، وهي:

١/٥ - الأخذ في الحسبان طول النفس في الإنجاز : يجب أن نعلم مسبقاً أن المدة الزمنية لإنجاز المشروع ستكون طويلة، وسوف تمر حكومات وحكومات، ويأتي جيل أو جيلان أو أكثر، وأن المدة التقريبية أو الاحتمالية يصعب تحديدها، وخاصة في المراحل التأسيسية التي هي المنطلق، أو باب الدخول في الصناعة المعجمية، ولكن تطوّر اللسانيات وعلم المعجمية وصناعة المعاجم ودخول الآلات

ولكن يجب أن نعلم أن هذا التقليل غير مبني على عمر دقيق "وخاصة إذا علمنا أن (معجم أكسفورد) للغة الإنجليزية استغرق إنجازه سبعين سنة، وضمّ أكثر من ثلاثة ملايين ونصف شاهد لغوي، وإذا علمنا أن المركز القومي الفرنسي في (نانسي) جمع في عشر سنوات حوالي مئتين وخمسين مليون شاهد بمعدّات إلكترونية، وإذا علمنا أن معجم (روبار الكبير) يحتوي على مئة وعشرين ألف شاهد، وإذا علمنا أن المعجم عامة يطعّم باستمرار، فمثلاً بين طبعة معجم (فيهر) الأولى سنة ١٩٥٨م وطبعته الرابعة سنة ١٩٧٠م زيدَ رُبُعُ المداخل تقريباً، وإذا علمنا أن تأليف المعجم يتطلب معرفة بعلم المفردات أي (المعجمية) lexicologie ومعرفة بصناعة المعجم أي المعاجمية lexicographie اتّضح لنا أن المعجم عامة أصبح عملاً مؤسّساتياً لا فردياً^(١٥). وفي هذه النقطة يمكن معارضة الواضعين للقانون بإطلاق

العملاقة من شأنها أن تيسّر عملنا، وتقلّص زمن الإنجاز بكثير، فليس تدوين المعجم التاريخي معجزة الآن أمام معطياتنا المادية والفكرية والآلية، وخاصة إذا كان العمل على شكل فرق متنوّعة؛ وكلّ فرقة لها مهمّتها المحدودة، وندخل حرفة الصناعة المعجمية، وبذلك نستدرك التأخير، ونعلم أن أمماً قضت سنوات وسنوات في تدوين معاجمها التاريخية، ولم تسجّل كلّ تاريخها، بل حدّدت فترة ضيقة مثل القرن الفلاني لا غير، وهذا ما ينطبق على القاموس التاريخي للغة الفرنسية التي لم تُمنَح كلّها واستمرّ العمل فيه ستين عاماً، كما أن المعجم التاريخي للغة الألمانية دام العمل فيه قرناً. ومن جهة أخرى يجب العلم بأنّ الزمن الحاضر كفيل بربح الوقت، وكسب رهان الإنجاز في وقت لا يطول مثلاً عرفته المعاجم الأجنبية، ونحن نعيش عصر التدقّق المعلوماتي، وعصر السرعة، وعصر الآلات العملاقة التي تعمل على تقليص الوقت،

التسمية على هذا المشروع اسم (الهيئة) وهذا يتنافى مع طول نفس المشروع. ويحتاج إلى إطلاق تسمية (المؤسسة).

٢/٥ - رصد كافٍ وكامل

للتحويل: للمشروع نفس طويل، بمعنى أنه يحتاج إلى تغذية تمويلية أقوى ويحتاج إلى جهود مالية من هبات الأفراد وموازنات الدول وأموال المؤسسات والمجامع، وأن تَقْتَطِعَ كُلَّ دولة عربية جزءاً من موازنتها لضخه في هذا المشروع، وأن يكون التمويل وافراً ومغدقاً. ولا يعني الإغداق هنا التبذير، بل من الأهمية بمكان أن أمثال هذه الأعمال ترصد لها ميزانيات مسبقة تكون في متناول الباحثين والكتّبة والمدققين والمراجعين، وكل من يقوم على أمر هذه المؤسسة، وهذا عن طريق دفاتر المهام والعقود التي تبرم مع المتعاملين كل في اختصاصه.

٣/٥ - كيفية الحصول على الكمية

الكبيرة من المعطيات والمدونات من العصر الجاهلي إلى الآن : إنَّ المعجم التاريخي فهرسة كاملة شاملة لكل ما

أنتجه الفكر العربي أو العالمي باللغة العربية من الجاهلية إلى العصر الحاضر، وهو أوسع من الموسوعات ودوائر المعارف كلها، فمادته تهفو إلى السعة، وتضم كل الألفاظ، والمعالجة يغلب عليها الطابع الدلالي والتنوع السياقي في ضوء التتبع الامتدادي عبر العصور، ومن هنا فلا بد من تصوّر أولي مضبوط عن المدونات التي تدرج في متن المعجم، وقد أبانت الأبحاث الجادة في هذا الشأن أن البداية تكون من سنة ٢٠٠ قبل الإسلام، أو ما يسمى بالعصر الجاهلي إلى القرن الثامن عشر الميلادي، وحدّوده بموت الزبيدي ١٢٠٦هـ. في هذه المدة الزمنية الأولى لا يكون المعجم نمطياً انتقائياً، فلا يفاضل بين المواد، بل يسجل كل مكتوب، وكل لفظة عرفت العربية واستخدمتها منذ عهد نقوشها إلى التاريخ المذكور، فلا يهمل النثر مهما قل، ولا يفاضل شعراً على شعر مهما كثر، بل هو مسح عام لكُل قول مكتوب باللغة الفصحى^(١٦).

ومدوّنة الورّاق، ومدوّنات المعجم
لمختلف المراحل الدراسية، ومدوّنات
قيد النشر.

وأما المدة الزمنية الثانية، فتكون
من القرن التاسع عشر إلى وقتنا
الحاضر، وهذه الفترة غزيرة في
الإنتاج، ومتشعبة في التخصصات،
ونجد فيها الجبال من المؤلفات، ولا
تعامل مادة هذه الفترة معاملة الأولى؛
حيث يقع الاختيار والانتقاء في كلّ
المواد، وهذا لعدة عوامل:

* فترة غير مؤسّسة، فالمادة الأصل في
الفترة الأولى، وقد أخذت بالاعتبار
دون انتقاء.

* فترة تحتاج إلى عيّات نوعية تكون
هي المرجع والشاهد على لغة العصر
الحاضر.

* فترة تأخذ في الاعتبار لغة الصحافة
التي أعطت للعربية الدفع القوي من
النماء اللغوي.

* فترة كثر فيها التماثل، وقلّ الإبداع.
* فترة كثر فيها الإنتاج وتشعب،
وخاصة الصحف، فيصعب متابعة كلّ

والأحرى الوصول إلى :

* النقوش الموجودة التي استطاع
تشفيرها، وهي قليلة على كلّ حال.

* الألواح والنقود التي عليها الكتابات
الأولى.

* المصادر الأولى، منذ بداية عصر
التدوين، التي تعود إلى سنة ١٤٨هـ.

* المراجع التي قامت على المصادر
بعد ذلك.

* كلّ الدواوين المنتجة في هذه الفترة.

* كلّ المعاجم التي أنجزت.

* كلّ الموسوعات.

* كلّ دوائر المعارف.

* كلّ إصدارات المراكز العربية
والأجنبية عن اللغة العربية.

* كلّ المدوّنات التي سُجلت أو طُبعت.

* كلّ ما خزّن في الشابكة، أو ما سُجّل
على الأقراص.

* كلّ الرصيد اللغوي الوظيفي
المغاربي، والرصيد اللغوي العربي.

* كلّ مخزون الذخيرة العربية،
ومدوّنات صخر، ومدوّنة المسبار،
ومدوّنة موسوعة الشعر العربي،

إنتاج العصر وفي كل اختصاص.

*فترة تدفق سيل حاجات الحياة من الحضارة الغربية.

٥/٥- الرهان كل الرهان على

وضع مناطق لعملية الحياة

والمعالجة والاسترجاع : في عصرنا

الحاضر يجب ألا يكون العمل

بالجاذبات أو بالطريقة التقليدية، ونحن

تغمرنا الآلات الحديثة والمناطق

المتطورة. وبات حرياً أن التحكم في

وضع المنطق القارئ والمدرّك

للرصيد اللغوي العربي، ويكون عالي

السرعة والمعالجة، وبمحرك عربي

متطور، ويستجيب للمعالجة الآلية

للنصوص العربية؛ هو أمر ضروري

قبل الانطلاق، فكل ذلك يسهل كل

العمليات ويدرك المصطلحات، ويعرف

التغير الدلالي، ويسقط المكرور،

ويتدرّج في المادة. نحن بحاجة إلى

مناطق متطور وإلى أجهزة تستطيع

تخزين الكمّ البلايني من المعلومات،

وتستطيع استعادتها تحت الطلب

وتنظيمها، وعدّها وإعطاء مدلولها، وما

طراً عليها من تطور.

أكد بقوة أن الرهان المعاصر

يقف في مدى استغلال هذه التقنيات

للتخزين والعدّ والمعالجة التي تتطلبها

عمليات السرعة أمام الكمّ الفيزيائي

للمعلومات وللتراث الذي له عمق

تاريخي كبير. وهذه النقطة (استغلال

التقنيات) تحتاج إلى لقاء تشاوري بين

رؤساء الوحدات، ومجموعة من

الحاسوبيين؛ حيث يشرح رؤساء

الوحدات النقاط التالية:

*معنى المعجم التاريخي: لغة

واصطلاحاً.

*عملية التخزين.

*عملية المعالجة.

*عملية الإحصاء.

*عملية تطور الألفاظ.

*عملية طرح المكرور.

*عملية الاسترجاع.

أي إنّ المعنيين بأمر الوحدات

لهم تصوّر مبدئي عن ميكنة المعجم

التاريخي، فالأحرى أن يشرحوا فكرتهم

للحاسبين بغية وضع منطق حسب

الأفكار التي يقع التفاهم حولها، تسهياً لعملية التخزين وهي العملية الأولى التي يجب أن يعدّوا إثرها متخصصين في مجال الحيازة. وعلى الحاسوبيين أن يعملوا على برمجة آلية سواء على مستوى الحيازة اليدوية، أو الحيازة عن طريق الإنترنت، أو باستعمال الأقراص الممغنطة C D أو بالماسح الضوئي. وعليهم كذلك أن يجعلوا المناطق قابلة للتطوير، ومفتوحة على احتمالات لاحقة تعمل على التطوير والتحسين والتصحيح؛ حتى تستجيب بشكل كامل لآليات المعجم التاريخي، هذا من جانب، ومن جانب آخر، لا بدّ أن تقع الاستفادة من الصناعة المعجمية والاستعانة بالتجارب الناجحة.

الجزء التطبيقي

هو الجزء المكمل للنظري؛ باعتباره تطبيقاً لحديثاته، ويتطلّب هذا الجزء الشروع في الإجراءات وتطبيق المنهج العلمي، خاصة بعد وضوح الرؤية العامة لمفهوم المعجم التاريخي الذي نكرّر القول في صفاته العامة

بأنّه: جمع المدوّنة العربية باستقراء كلّ النصوص استقراءً يتتبع التطوّر التاريخي. والأحرى بنا اتّباع المنهج التّأصيلي التاريخي المقارن للنصوص التي سوف تُنسخ، ولا ننسى المنهج الوصفي؛ حيث يصف كلّ النصوص والوحدات بالنظر إلى سنة ورودها، وتُحذف الاستعمالات المكرّرة، ثم تُدوّن المعاني الجديدة فقط، بالاحتفاظ بالأقدم من العصر الجاهلي إلى وقتنا الحالي، كما يدرس المعجم نشأة المادة وعروبته أو تعريبها، وما يتّصل بها من عوامل النطق، ويرتبها تاريخياً بحسب ظهور الصيغ، مع تقديم المبني على المعرب، والثلاثي على الثلاثي، والثلاثي على الرباعي، والرباعي على الخماسي، واللازم على المتعدّي، والمعلوم على المجهول، والمجرّد على المزيد، وكلّ التغيّرات الطارئة من خلال حروف الزيادة.. ولا يتجاوز ذكر الأصوات، وما طرأ عليها من تغيّرات، كما لا يتجاوز الأساليب والتراكيب الخاصة الاصطلاحية التي

بواسطة معالجة المعطيات الجزئية؛ وصولاً إلى المعطيات الكلية، وبرسم استراتيجيات ضمن الأبعاد الثلاثة: القصير والمتوسط والبعيد المدة. وتعدّ هذه الاستراتيجية طريقة من طرائق حلّ المشكلات، والهدف من ذلك تمكين المختصين من التغلب على كلّ الصعوبات التي سوف تتجرّ عن هذا الإنجاز الحضاري القومي.

١- الجوانب الإجرائية: يبدو لي أنّ المعجم التاريخي للغة العربية يحتاج إلى ثلاث خطوات كبرى وعملقة، فإذا استطعنا تجاوزها يمكن أن نقول إنّ المعجم سينجز في القريب العاجل، ولا يحتاج إلى قرن أو أكثر، وهذه الخطوات هي :

-الخطوة الأولى: الوصول إلى تحديد المعالم الكبرى لتطور اللغة العربية خلال العصور.

-الخطوة الثانية : الوصول إلى وضع قائمة بأسماء المخطوطات والمطان والمصادر والنقوش الموثقة التي تستقى منها مادة المعجم.

اتّخذت دلالات معيّنة، كما ذكر اللفظ الذي استُخدم مرة واحدة ثمّ هُجر، بالإشارة إلى مصدره، وموطنه، وقائله، ومعناه، وما طرأ عليه من كلّ الجوانب اللغوية والأدبية، ولا يتجاوز المسكوكات، والمركبات ودلالاتها، وتطورها عبر الأزمان حيث يتقوى المعاني في مختلف العصور والبيئات ولدى كلّ الطبقات.

وأما الإجراءات فالمقصود بها الخروج من التنظير والأمانى، وما كان حلمًا ذات وقت إلى مجال هذه الإجراءات الفعلية التي تؤدي بنا إلى تجسيد الملموس بفعل خطط واضحة محدّدة بزمن؛ أي ترجمة الحلم إلى سلوك قابل للممارسة. وأما المنهج فأقصد به وضع الترتيبات اللازمة ضمن الإجراءات الفعلية ذات الأبعاد والمرامي والأهداف؛ انطلاقاً من منهج علم اللغة الوصفي، والاستعانة بعلم اللغة التاريخي والاستهداف بعلم اللغة المقارن، في تدوين المفردات والألفاظ، وهذا بوضع طريقة منهجية يمكن

-الخطوة الثالثة : الوصول إلى

صنع برمجيات حاسوبية لتخزين ومعالجة وتصنيف وتحليل المدون والإجابة عن أي طلب يخطر ببال الباحث في اللغة العربية.

وأرى أن التركيز في العمل لا يخرج عن هذه الخطوات، ثم لا يمنعنا من البدء في أعمال أخرى من مثل:

١/١- وضع الرمز المختصر

للمعجم : وأرى ضرورة الإبقاء على مقترح المعجمية التونسية (متع). أي معجم تاريخي عربي.

٢/١ - الاتفاق على الشعار

الذي يحمله في المراسلات : تفتح مناقصة في تقديم العروض، وترصد لجنة علمية لاختيار أفضل عرض يستجيب لأهداف المعجم.

٣/١ - إنجاز القانون الأساسي

للعاملين: ينظر فيه بحسب القوانين السارية حصرًا في دولة المركز، مع المرجعيات الإضافية للمؤسسات العربية الدولية التي توجد في دولة المركز. وأرى المشروع الذي قدمه

الدكتور علي القاسمي بخصوص (النظام الأساسي لهيئة المعجم التاريخي للغة العربية) في أبوابه الثلاثة، ومواده الاثنتي عشرة، مقبولا وصالحا إلى جانب (مشروع نظام الموظفين) فالى حدّ ما هما معقولان من حيث الإلمام التام بكلّ المعطيات القانونية، ويحتاجان فقط إلى تطعيم من قبل مختصين في الإدارة والمالية لترجمة بعض النصوص وفق قوانين البلد المضيف حصرًا، وإلى ترجمة المخصّصات المالية إلى أرقام معمول بها في المؤسسات الأجنبية الموجودة في الجمهورية المصرية.

٤/١ - فتح بوابة المؤسسة في

الشبكة الدولية : بات حريّا أن تفتح المؤسسة موقعها الخاص وتحمل شعارها، وتضع فيه كلّ مستلزمات عملها الجاري إنجازه، وما هو في الطريق ، ويوضع فيه في البداية:

*الكتاب التعريفي بالمعجم التاريخي للغة العربية.

*كتيب في القواعد الفنية التي تراعى

في المعجم.

*تجهيزات مكتبية أخرى.

*ويكون هذا تهيئة للاحق من الأعمال التي سوف تضخ لمن يهّمه أمر هذا المعجم.

*البدء بالحياسة اليدوية، في انتظار إعداد مناطق للحياسة.

٢- وضع الكتاب التعريفي^(١٧) :

٥/١ - توفير الاحتياجات الدنيا :

والهدف منه توصيف عام للمعجم التاريخي وأهدافه وخصائصه، وما سوف يقدمه للغة العربية، ويمكن أن يجيب الكتاب التعريفي باختصار عن الآتي:

أتصور في المرحلة الأولى أن يكون المنطلق بوضع القاعدة الأساس للمؤسسة الفتية، والتي لا تتطلب إلا الحد الأدنى، ونعرف أن لكل بداية عثرات وصعوبات وأصعب الصعوبات في الانطلاق، وما أسهل العمل إذا حصل الانطلاق، وبالانطلاق تظهر الفراغات والأخطاء، ويبحث لها عن حلول، المهم أن ننتقل، وعند ذلك لكل حدث حديث. وأرى أن الحد الأدنى يكون بتوفير ما يلي:

- مقدمة : فكرة عامة عن المعجم التاريخي للغة العربية.

- أسباب تعثر المشروع في الماضي وإحياء الفكرة في الوقت الحاضر.

- دواعي تأليف المعجم التاريخي، حدوده وأبعاده.

- ويتم التعرض في هذه المقدمة إلى تصور الثقافة والحياة العربية من خلال اللغة، ويبيّن أن هذا المعجم يتيح الاطلاع على التعابير القديمة، وما عرفته من تطور إلى أن وصلت إلى وضعها الراهن، كما يتيح لنا هذا المعجم قراءة تراث اللغة العربية من خلال الممارسات اللغوية. فهو معجم

*كتبة حاسوبيين للجمع والحياسة.

*حواسيب متطورة وعالية الجودة.

*خط إنترنت متخصص.

*خطوط للاتصالات.

*خبير لغوي يجمع بين التمكن اللغوي والإتقان القوي للإعلام الآلي.

*مكتبة ورقية، مع مكتبة إلكترونية.

- يشمل على تاريخ المفاهيم والأفكار
والمؤسسات وتطور العلوم من العصر
الجاهلي إلى وقتنا الحاضر.
- أهداف المعجم التاريخي.
 - لمن يعدّ هذا المعجم.
 - الإطار العام للمعجم.
 - حجم المعجم.
 - مداخل المعجم.
 - مراحل الإنجاز.
 - شروط العلماء المستكتبين.
 - الجهات المشاركة في المعجم.
 - آفاق المعجم.
- ٣- إنجاز كتيب في القواعد
الفنية التي تراعى في المعجم: وهذا
الكتاب موجّه للعلماء المستكتبين في
الحقيقة، ثمّ هو كتاب للمختصّين في
المعجم وفي الصناعة المعجمية؛
يسترشدون به منهجيّاً في أثناء تحرير
المواد، ولا شكّ أنّه باطلاعهم على هذا
الكتاب يبدون أفكاراً تصحيحية تؤخذ
في الاعتبار في مراجعة النقاّص، وفي
تصحيح بعض الآراء، ويستهدي به
المستكتبون في إنجاز المطلوب منهم
- ويمكن أن يشمل على الآتي:
- قيام المعجم على الدقّة في
 - المعلومات، والموضوعية في العرض،
 - مع الإفادة المناسبة من الصور
 - والجداول واستعمال الرموز
 - والمختصرات وقت الحاجة.
 - الإشارة إلى أماكن استعمال
 - علامات الوقف، مع الدلالات الخاصة
 - بكلّ مختصر أو رمز أو إشارة.
 - إنجاز قائمة بالمصادر
 - الأساسية للمعجم.
 - توضيح طريقة العرض
 - والصياغة.
 - ذكر مواصفات اللغة
 - المستخدمة.
 - الاتفاق على المصطلحات
 - العلمية المستعملة في المعجم.
 - الإشارة إلى حجم ونوع
 - الجداول والخرائط الموضّفة في المعجم.
 - التدقيق ثمّ التدقيق في النقل،
 - وهذا بمراجعة صارمة لكلّ المواد
 - والاقتباسات.
 - تحتفظ الكلمة برسمها كما

وردت في كلِّ اقتباس؛ لأنها تمثل جانباً من ثقافة العصر ومعرفته.

- الإشارة إلى طريقة الإحالات والهوامش.

- تحديد عدد الكلمات في المدخل الرئيسي، وفي المدخل الفرعي. ومن هنا فإنه يطلب من المستكتبين الغوص في كلِّ كلمة من كلمات اللغة؛ من حيث :

- كلِّ صوت من أصواتها.

- كلِّ اشتقاق من اشتقاقاتها.

- كلِّ تركيب من تراكيبيها.

- كلِّ أسلوب من أساليبها.

- كلِّ مسكوك من مسكوكاتها.

- كلِّ مثل من أمثالها.

وهذا عبر مرَّ العصور وكرَّ الدهور، إضافة إلى :

- تجاوب كلِّ كلماتها من حيث التواتر، والشيوع، والفناء، والبقاء، والتأثير، والتأثر.

- تتبَّع الكليات دون نسيان التفاصيل والجزئيات.

- تتبَّع التغيّرات بما تحويه من

نمذجات.

- لا يكتفى بالنماذج إلا في العصريّات.

٤- الاستهداء بالمنجزات العلمية

السالفة: مثلما ذكرت سلفاً أنه لا ينبغي أن نبني في كلِّ مرة من جديد، فهناك منجزات علمية مضبوطة تحتاج إلى تثمين وتجسيد في هذا المعجم التاريخي، فلا يجب أن نمرّ مرور الكرام على القرارات العلمية في خمسين عاماً ١٩٣٤-١٩٨٤م، التي أنتجها مجمع اللغة العربية بالقاهرة، باعتباره مؤسسة تشريع لغوية، ولذا نستهدي بقراراته في : كتابة الأعلام الأجنبية، وفي ترجمة المواليد، والأعيان من نبات وحيوان وتعريبها، وفي وضع المصطلحات، وفي الترجمة والتعريب، وفي وضع الرموز للمراجع اللغوية، وفي ترجمة الكواسع والصدور، وفي اختصار صور الحروف الطباعية... كما يمكن الاهتداء في ترتيب المداخل وتفرّعاتها والألفاظ المعرّبة والدخيلة بمنهج

المعجم الكبير وفي المختصرات يمكن العودة إلى الاجتهاد النوعي الذي قدمته الموسوعة العربية الصادرة في سورية، أو ما قدمه المجمع الأردني من اجتهاد نوعي في : مشروع مجمع اللغة العربية الأردني للرموز العلمية والعربية سنة ١٩٨٥م.

والذي يهتم في هذه النقطة لا يجب أن نخلق ما هو كائن، بل علينا أن نضع هذه الإجراءات التي سبق لها أن وُضعت، ونسترشد بما يخدم لغتنا سواء كانت من مؤسساتنا أو من مؤسسات أجنبية، فيجب العمل بالذرائعية التي تخدمنا وترقي لغتنا، فحيث وُجدت المصلحة فثم فائدة اللغة العربية.

٥- كيفية الإجاز: من المراحل الإجرائية التي تتطلب التحضير الجيد، وهذا من خلال :

* تكوين فرق من الحاسوبيين المخزنين للمادة.

* تقسيم العمل إلى فرق متخصصة.

* توحيد منهجية البحث والتخزين.

* تقسيم المادة العلمية إلى عصور.

* إعداد مناطق متعددة؛ تكون كما يلي:

الأول : للتخزين.

الثاني : للتدقيق اللغوي.

الثالث : للتصنيف.

الرابع : للإخراج.

* تجديد المناطق باستمرار تلبية

المتطلبات التي تفرضها المضايقات التقنية.

* اقتناء أجهزة عصرية متطورة.

* تنظيم العمل وتخطيطه وتنسيقه وتحديد مدته.

تقسيم المادة إلى قسمين: القسم

الأول يبدأ من العصر الجاهلي في

حدود ٢٠٠ سنة قبل الإسلام إلى نهاية

القرن الثامن عشر الميلادي. والقسم

الثاني يبدأ من بداية القرن التاسع عشر

الميلادي إلى الآن.

ويرى الدكتور علي القاسمي أن

الإجاز يتطلب المنهجية التالية:

* تقسيم العمل إلى عصور تاريخية

للمواد المجمعة.

* إعداد قائمة بالمصادر والمراجع

والمخطوطات والمطبوعات الموثقة.

* إنشاء مدونة محوسبة.

استخلاص جذور الكلمات

ومشتقاتها والتعبيرات التي تدخل فيها
المدونة اللغوية.

تكوين قاعدة شواهد موثقة على
مداخل المعجم.

تحرير مداخل المعجم^(١٨).

وهذه المرحلة تتطلب الآتي:

١/٥- جمع المصادر: تجمع

المصادر كلها من العصر الجاهلي حتى
منتصف القرن السابع الهجري (نهاية
القرن الثامن عشر الميلادي في
المرحلة الأولى) ثم الاتفاق على
المصادر التي تجمع منها المادة والتي
تخضع للانتقاء، وتتعلق بالقرن التاسع
عشر الميلادي إلى الآن. ونقف وقفة
هنا لنقول: إن الوصول إلى كل
المصادر ليس صعباً، فقط يجب علينا
توزيع المهام؛ بحيث يمكن ذلك إذا كان
كل عضو في المجلس العلمي استطاع
الوصول إلى جذاذات المكتبات، وعاد
إلى استكناه فهارس المصادر المتوافرة،

وإلى استعمال التقنيات المعاصرة في
الوصول إلى كل المصادر. وهذه
العملية بدورها تؤدي بنا إلى القول بأنه
من الأهمية بمكان البدء بتكوين مكتبة
خاصة في مركز اتحاد المجامع تكون
في متناول الكتبة (الجماع) والمستكبين
ببلد المؤسسة، وتكون سنداً علمياً
للمدققين، إضافة إلى البدء بتأسيس
المكتبة الإلكترونية. ونحتاج في هذه
المرحلة إلى تكوين مدونات محوسبة
التي عن طريقها نجمع ذخائر العربية
في عصورها الممتدة وفي بيئاتها
المتنوعة " ومما يأتي في مقدمة
التصانيف إعداد المدونات المحوسبة
التي تعنى بجمع ذخائر العرب من
النصوص التي تمثل اللغة في أحد
عصورها أو بيئة من بيئاتها، أو
مستوى من مستوياتها، وهي مقدمات
طبيّة للاستفادة منها في تحديد الكلمات
والتراكيب التي يذيع استعمالها بحسب
المستويات وتصنيفها، وإرشاد الكتاب
والمؤدّبين من مؤلفين ومعلمين ومعدّي
برامج وإعلانات وغيرها، لغرض

كما تتطلب المرحلة استعمال الماسح الضوئي المتطور. ويجب أن نعلم أن مرحلة الإنجاز تتطلب بقوة إعداد مناطق متطورة؛ تسهيلاً لعملية المسح والمعالجة والإحصاء، ثم سهولة الوصول إلى المادة في صورها المطلوبة، والتي بها تقترب المسافة بين المنتج وبين المعالج. وهي عملية من الأهمية بمكان أن تأخذ الأولوية في هذه المرحلة.

٦- مكملات أخرى : إن المعجم التاريخي يتطلب نفساً طويلاً، كما يتطلب أحياناً بعض المراجعة والتدقيق للمعلومات أو للشواهد، ومن هنا فإن ميكنة المعجم ضرورة معاصرة، وهي من متطلبات الحداثة، حيث تسمح بالمراجعة دون إحداث تأثير على المادة، أو تغيير في المتن، وكلما ازددنا عملاً ازددنا بصيرة بحقيقته، وباكتشاف ما لم نضعه في الحسبان، ومن هنا فإن الضرورة العلمية تقتضي الاجتماع الدوري للمجلس العلمي للمراجعة والمتابعة والتصحيح، والعمل

اطلاعهم عليها وانتقائهم منها ما يعينهم على مخاطبة الفئات التي يستهدفونها وييسر سبل التواصل معها. وكذلك يشكل النجاح في مجال تأليف المدونات المحوسبة مقدّمة لإنجاح إنجاز مشروع المعجم التاريخي للغة العربية، ذاكرة العربية الممتدة منذ كان حتى الآن، والمستمرة حتى قيام الساعة، ومواصلة مدّه بما يجد من مفردات وتراكيب جديدة^(١٩). " بالفعل إن مرحلة جمع المصادر يجب أن تكون سريعة، وأن تخضع لتقنية التخزين التي تحصل من قبل التقنيين في البرمجة كي لا يحصل التكرار، وكي لا يكون تضارب بين المصادر التي تخضع للمسح.

٥/٢- إنجاز مناطق لتخزين

تسميات المصادر ومتعلقاتها: إن الكم الكبير من المصادر يحتاج إلى مناطق تدوّن فيه كل معلومات المصادر، تسهيلاً لعملية الإسناد وما له علاقة بذلك، وهذا المنطق يجب أن يستجيب لمواصفات أصالة المصدر، وعدم تكرار نفس المصدر، وحسن الترتيب..

على إيجاد الحلول الملائمة.

وإنه من الأهمية بمكان تقسيم العمل إلى فترات تسهيلاً للتخزين، وتكوين مدونة المعجم التاريخي الأحادي اللغة من نصوص مكتوبة وفصيحة، انطلاقاً مما كان لا ممّا يجب أن يكون، فالمعجم وصفي يبني على قاعدة حاسوبية تاريخية؛ تراعي التغير الدلالي لشساعة هذه اللغة التي تنطلق من العصر الجاهلي، وتضم القرآن الكريم وقرائاته، والأحاديث الصحيحة، وكلّ التفاسير، ثمّ لغة الأمويين والعباسيين، ولغة القرون الوسطى، ولغة الشعراء، ولغة الكتاب، ولغة النقاد، وأسلوب اللغويين، ولغة الروائيين، ولغة الصحفيين؛ خاصة الصحافة المعاصرة.. مع الإشارة إلى الفصيح والمعنى الحقيقي والمعنى المجازي، والمعرّب والمنقول، والمولّد.. وكلّ هذا يقتضي إعداد مناطق جبارة، وأجهزة متطورة للتغلب على التأخير الذي لحقنا، كما يقتضي العمل بكلّ الوسائل المتوافرة، وخاصة

الماسح الضوئي المتطور؛ الذي يستجيب لتصحيح النصوص الممسوحة باللغة العربية.

يقتضي المعجم بعض الشروط الخاصة الفنية؛ والتي يقتضي ذكرها هنا، وهي :

* يأخذ هذا المعجم ثلاث صور، وهي:

١- نسخ مجلدات ورقية مطبوعة.

٢- صورة محوسبة (أقراص).

٣- موقع (نسخة) إنترنت.

* وضع مقدمة توضيحية عن:

- التعريف بالمعجم التاريخي.

- المنهج المتبع.

- دراسة لغوية عن ظاهرة التطور.

- بيانات عن طريقة جمع المدونات.

- بيان تفصيلي عن المداخل الأصول.

- بيان تفصيلي عن المداخل الفروع.

- تشفير للمختصرات المتعمدة.

- بيان عن طريقة التهميش واستعمال

المصادر.

- بيانات تفسيرية عن طريقة جمع

المادة، وأرى أنّ طريقة فيشر مقبولة

إلى حدّ ما، مع إمكانية إضافة ما يراه

٥ - النحوية : تتناول جميع الصلات التي تربط كلمة بأخرى، وترتيب كلمات لها مواضع معينة في سياق الكلام، مع مراعاة المضمّر أو المحذوف، وتعدي الفعل أو لزومه.

٦ - البيانية: تتّجه إلى بيان العلاقات التطورية لكل كلمة، والتراكيب والتعابير التي لم يطرأ عليها أيّ تغيير، والدواعي البلاغية لوضع الكلمات وترتيبها.

٧ - الأسلوبية: تعنى بالبنية اللغوية التي استعملت الكلمة أو التعبير أو التركيب استعمالاً عاماً، مع مراعاة اختلاف الأساليب، ومنها لغة القرآن، ولغة الحديث، وأسلوب الشعر والنثر، والأسلوب التاريخي، وأسلوب الفنون وغيره (٢٠).

وهذه الخطوات جدّ مهمة، وهي التي تعمل على كيفية دراسة كلّ لفظة، فهي منهج جدّ مهم، ومع ذلك تحتاج إلى تطوير، لأنّه استُجِدّت أفكار بعد فيشر، فأرى ضرورة إدراجها، إضافة إلى أنّ دراسة المادة حسب هذه

المجلس العلمي، ويمكن الإشارة في هذا المجال إلى الخطوط العريضة للخطوات السبع لمعجم فيشر، كما وضّحها الدكتور إحسان النصّ (عضو مجلسي الأماء).

١-التاريخية: وهو أبرز ما ينبغي العناية به؛ لأنّ لكل كلمة تطورها التاريخي الخاص، ولا بدّ من توضيح هذا التطور التاريخي.

٢ - الاشتقاقية: بيان توليد الكلمات والكلمات المعربة تردّ إلى أصولها قدر الإمكان.

٣ - التصريفية: تحديد الصيغ المتغيرة للكلمة، وتصريف أفعالها، واختيار الصيغة المشهورة في تصريف الفعل أو الاسم.

٤ - التعبيرية: تعنى بتحقيق الكلمة أو معانيها، والمعنى الأول يؤخذ من اشتقاق الكلمة، ويقدم المعنى العام على المعنى الخاص، والمعنى الحسي على العقلي، والمعنى الحقيقي على المجازي، مع مراعاة المعاني الاصطلاحية.

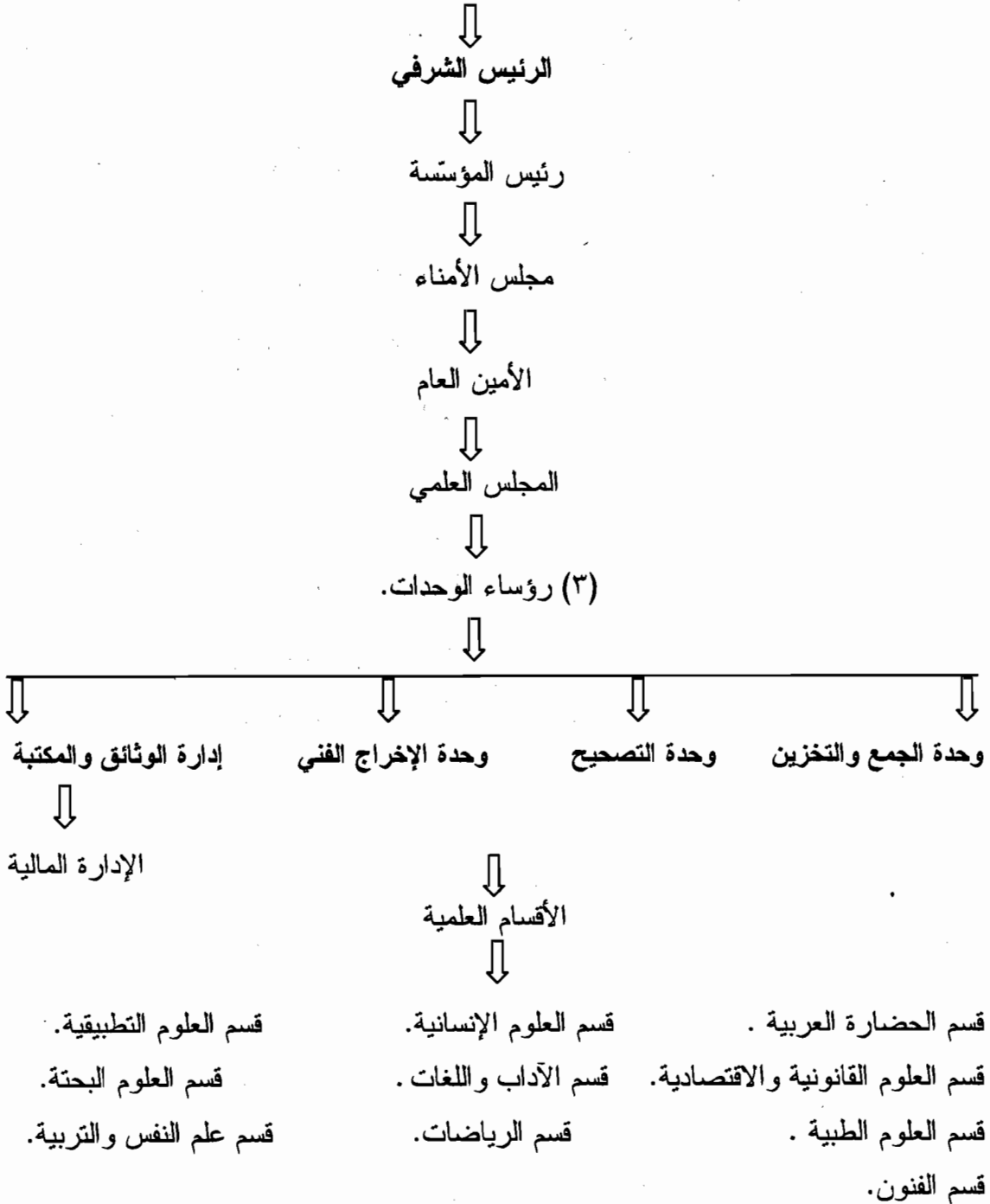
الثلاث المقترحة لها الصورة العلمية البحتة كذلك، ولا أرى ضرورة إطلاق تسمية (وحدة) على مصلحة المالية والإدارة العامة وما له علاقة بالمكتبة، فهي إدارة مساندة لجيوش من الحاسوبيين والأساتذة والمراجعين الذين تقع على عاتقهم مسؤولية إنجاز هذا المعجم الذي ننتظره بصبر. كما لا يغيب عن الذهن أنّ المؤسسة تحتاج إلى أجهزة وأقسام ومساندين؛ تسهلاً لأداء العمل بشكل جيّد. وأقترح مبدئياً هذه الهيكلية :

المقترحات هي نوع من التمثّل المنهجي التاريخي الذي يُطلب في مواصفات المعاجم التاريخية، كما يساعد هذا التوزيع على التحكّم في المادة المجمّعة.

هـ- الهيكل العلمي والإداري

لمؤسسة المعجم التاريخي: حسب المواصفات العلمية للمعجم التاريخي، فإنّه يجب تغليب الجانب العلمي على الجانب الإداري، ولذا أرى أنّ الأقسام المقترحة هي أقسام علمية، وهي أساس تصفية المادة العلمية في بدايتها، ثمّ نجد الوحدات

الهيكل العلمي والإداري لمؤسسة المعجم التاريخي



- توضيح في الوحدات: تضم
الوحدات الثلاث الحاسوبيين الذين
يُعَدُّون خِصِّصَ لهذا الأمر ويكونون
على دراية تامة بخصائص اللغة

العربية من حيث: الصرف والنحو والبلاغة، والبراعة التامة في الحياة والبرمجة، وما يلحق ذلك من عمليات تقنيات الحاسوب^(٢١). ويكون على رأس كل وحدة أستاذ بدرجة عالية جداً، ومهامه توجيه عمل الوحدة، ويراقب كل العمليات التي تنجز في أثناء الحياة.

١- وحدة الجمع والتخزين: وحدة تهتم بتخزين المادة من المظان المختلفة، ويتعلق عملها في الحياة الأولية التي تأتي من المصادر، وتكون عن طريق التصفيف، أو استعمال الماسح الضوئي.

٢- وحدة التصحيح: هي وحدة خاصة تقع عليها مسؤولية التصحيح والتدقيق، وتحتاج هذه الوحدة أن تدعم بأساتذة كبار متخصصين في علوم اللغة العربية، يكونون متفرغين للتدقيق فقط. وفي هذه الوحدة يحصل التدقيق من حيث:

* معلومات عن متن العمل.

* عن منهجية الدراسة.

* عن لغة الدراسة.

* عن أصالة العمل.

* عن الجوانب الفنية.

* عن متعلقات أخرى.

ويشترط في المدققين الإلمام الجيد بفنون المراجعة اللغوية، بدءاً من النقوش والمخطوطات، وما هو محقق، وما يوجد في الصحائف، وما تحتويه المتون، وما تحمله كتب التراث، والذي تتضمنه الكتب المعاصرة، والصحف، إلى جانب إتقان فن مراجعة الأبيات الشعرية، وفن تحقيق النثر... وكل ما لا يسع المصحح جهله من جوانب فنية. وتقع المسؤولية جسيمة على المدققين في أنهم يدققون في مسائل التصحيح، والتحريف، والتعليق، والتخريج، وقضايا عديدة، ومن جوانب شتى...

٣- وحدة الإخراج: هي وحدة

فنية، يقع العمل فيها بخصوص الإخراج، وما له علاقة بتوظيف المختصرات والبيانات والصور وتوظيف الخرائط والألوان، إلى جانب

الجوانب الفنية والجمالية.

-توضيحات في المهام العلمية

للأقسام : إن مهام هذه الأقسام تتمثل في الآتي:

- استقبال المادة الخاصة بها.

-التدقيق في المادة المستقبلية

من حيث الاختصاص.

-تحليل المادة ودراستها بدقة.

إجراء التعديل المطلوب، أو

إبداء الرأي بالقبول، أو بالرفض.

-توجيه المادة المقبولة إلى

مصلحة التخزين، وإن طُلب التعديل

تعد المادة إلى صاحبها للأخذ

بالملاحظات.

وأرى في البداية أن ينظر اتحاد

المجامع في تنصيب الأقسام التي

تحتكم إلى كمّ من التأليف، على أن

يلحق تنصيب الأقسام الأخرى في

لاحق من الزمن. وأن كثرة الأقسام

ضرورة تفرضها المادة المتنوعة

الكثيرة، ويفرضها عامل الزمن، وريح

الوقت، ولذا لا نستهيّن بهذه الكثرة؛

حيث وجدت في معجم الذخيرة

الفرنسية أكثر من ستة عشر قسماً،

وفي الموسوعة العربية بسورية تسعة

أقسام.

إن هذه الهيكلية لا تعني في حال

من الأحوال استقلال الوحدات بعضها

عن بعض، بل الغرض منها السيطرة

القويّة على المادة الكبيرة، وتوزيع

المادة على الاختصاصات، تيسيراً

للجمع والدراسة لا غير . وإن

غرضي من هذا التقسيم الهيكلي هو

العمل في فريق متعاقد يكمل بعضه

بعضاً، وسيمرّ العمل وفق الترتيب

التالي:

١-تأتي المادة العلمية عن

طريق وحدة الوثائق والمكتبة، أو

بواسطة المستكتبين.

٢-يقوم الأمين العام بتوزيع

المادة - حسب اختصاصها - على

الأقسام.

٣-تجرى المراجعة الأولى من

قبل القسم المختصّ، ثمّ توجّه إلى

وحدة الجمع والتخزين.

٤-يقوم أساتذة وحدة الجمع

٩- تعرض المادة وهي

في صورتها النهائية على المجلس العلمي.

١٠- يفحص المجلس العلمي

المادة من كل جوانبها، ثم يؤشر على صلاحيتها / تصحيحها.

١١- توجه بعدها المواد في

صورتها النهائية إلى الطبع.

١٢- تبقى الصورة الأصل في

الحاسوب لاستعمالها في النسخة الآلية (الإنترنت) .

والتخزين بتدقيق آخر في المادة.

٥- تخزن المادة في صورتها

الأولى، ثم تسحب وتوجه لقسم التدقيق اللغوي.

٦- يقع التدقيق مرة ثالثة

للاستدراك أو الإضافة والنظر في أخطاء التخزين.

٧- تعود المادة مرة ثانية إلى

وحدة الجمع والتخزين، لاستدراك الملاحظات، وإجراء التصحيحات.

٨- توجه المادة العلمية بعد ذلك

إلى وحدة الإخراج الفني.

الهوامش

- (١) د. محمود حافظ، كلماتي مع الخالدين القاهرة: ٢٠٠٦، مطبوعات مجمع اللغة العربية بمصر، ص ٣٧-٣٨.
- (٢) "تحو استثمار أفضل للحاسوب في مجالات خدمة اللغة العربية وعلومها" مجلة المجمع الجزائري. الجزائر: ٢٠٠٧، العدد ٦، ص ٦٠-٦١.
- (٣) مجلة مجمع اللغة العربية. القاهرة: ١٩٧٥، الجزء الخامس والثلاثون، ص ٩٠-١١٠.
- (٤) ع / موقع google بتاريخ ٢٨ فبراير ٢٠٠٨.
- (٥) المعجم العربي التاريخي (مفهومه - وظيفته - محتواه) "مجلة المعجمية. تونس: ١٩٩٠، العدد ٥-٦، ص ١٦٠.
- (٦) رئاسة الجمهورية السورية، الموسوعة العربية، علي أبو زيد "المعجم المنشود" ط ١. دمشق: ٢٠٠٧، المجلد التاسع عشر، ص ٧٦-٧٧.
- (٧) د. إحسان النصّ "مشروع المعجم التاريخي للغة العربية مسيرة وتاريخ" مجلة مجمع اللغة العربية. دمشق: ٢٠٠٧ المجلد الثاني والثمانون، الجزء الأول، ص ٨٠.
- (٨) محمد رشاد الحمزاوي "تاريخ المعجم العربي (متع) في نطاق العربية: المبادرات الرائدة" مجلة المعجمية. تونس: ١٩٩٠ وقائع ندوة (المعجم العربي التاريخي: قضاياها ووسائل إنجازها) نوفمبر ١٤-١٧ نوفمبر ١٩٨٩.
- (٩) لمزيد من التفصيل ينظر النموذج في أمانة مجمع اللغة العربية بالقاهرة. وينظر التفصيل في عمل قدمه حلمي خليل في مجلة المعجمية التونسية حول (وقائع المعجم العربي التاريخي: قضاياها ووسائل إنجازها) تونس: ١٩٩٠، مجلة جمعية المعجمية، العددان ٥-٦.
- (١٠) مجمع اللغة العربية، المجمعيون

المعطى العلمي الدقيق والمضبوط وعن السياق، ومدى تكرار الكلمة أو النص في نص واحد أو عدة نصوص، وهذا كله يتم بوجود نطاق متطور أعد لهذا الغرض، يعمل على الإجابة عن أية معلومة مطلوبة؛ حيث تلمس أزرار الكبتار بتقديم سؤال، فيجيب بكل دقة، وفي أسرع ما يمكن.

(١٤) عندما نقول علي القاسمي في مجال المعجم نشير إلى أن له دراسات معتبرة في علم المعاجم، ومقالات منشورة في مجلات دولية من مثل : مجلات المجامع، كما أنجز عملين مهمين هما:

١- علم اللغة وصناعة المعجم، ط ١، ١٩٧٥.

٢- معجم الاستشهادات ٢٠٠١.

(١٥) أحمد العايد "دائرة المعارف الإسلامية أصل من أصول المعجم العربي التاريخي" مجلة المعجمية. تونس: ١٩٩٠، العدد الخاص بندوة: وقائع ندوة (المعجم العربي التاريخي: قضايا ووسائل إنجازه) (٥ - ٦) ص ٥٦.

(١٦) لا يعني عدم إدراج العاميات

في خمسة وسبعين عامًا. القاهرة : ٢٠٠٧، ص ٥٧٦ - ٥٧٧.

(١١) كلماتي مع الخالدين. القاهرة : ٢٠٠٦، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ص ١٠١.

(١٢) ينظر مقدمة كتاب جرجي زيدان.

(١٣) هناك نقاط تلاق بين المشروعين، وكان يجب التنسيق بينهما كي لا تتكرر الأعمال، ويمكن الإشارة إلى المواصفات العامة للذخيرة العربية: ما يخزن من شيء نفيس يلتجأ إليه وقت الضرورة، وما يخزنه العلماء والباحثون من نصوص قديمة وحديثة في ذاكرة الحاسوب، أي فهرسة كاملة شاملة شبكية لكل ما أنتجه الفكر العربي من الجاهلية إلى يومنا هذا، فتتيح البحث عن مفردة أو صيغة أو بنية أو تركيب أو عبارة جامدة، أو أي شيء يخص اللغة في نص واحد أو عديد النصوص، بالإضافة إلى العدد الكبير من الخطابات والمحاورات العفوية بالفصحى في شتى الميادين. وسيلبي طلبك في سرعة الضوء؛ للعثور على

استثمار أفضل للحاسوب في مجالات خدمة اللغة العربية وعلومها" مجلة المجمع الجزائري. الجزائر : ٢٠٠٧، العدد ٦، ص ٦٣ - ٦٤.

(٢٠) مجمع اللغة العربية السوري، مجلة المجمع. دمشق : ٢٠٠٧، المجلد الثاني والثمانون، الجزء الأول، ص ٣١-٣٢.

(٢١) أوصت اللجنة العلمية المشكلة من : إبراهيم بن مراد، وأحمد بن محمد الضبيبي، وصالح بلعيد، بأن مواصفات الجماع (وهم الكتبة العاملون في الحياة) في الوحدة الأولى تكون كما يلي:

١- أن يكون عضو الوحدة حاصلاً على درجة البكالوريوس أو الليسانس في اللغة العربية وآدابها.

٢- أن يكون حاصلاً على شهادة تدريب في إدخال البيانات واسترجاعها (الحوسبة) أو له خبرة في هذا المجال.

٣- أن يخضع لاختبار يُجرى له في اللغة العربية، وفي استعمال الحاسوب، يكون كتابياً أولاً، ثم شفاهياً في مقابلة شخصية.

إلغاء وإسقاط جزء مهم من الذخيرة، أو أن الدارجات دنساً مهجوراً أو لا يعتد بها، بل إن المرحلة الراهنة تقتضي الاهتمام باللغة العربية الجامعة والأحادية التي هي ديواننا الأول، ومستقبلنا المشترك، وفيها دون آباؤنا غرر مفاخرهم وآدابهم، ولم يبدعوا إلا في ظل هذه اللغة الفصيحة، وقد يكون الاهتمام ببعض الدارج لردّه إلى فصيحه، أو إلى أصله، وكيف حدث فيه تصرف وأسباب ذلك الانحراف. وأما إذا وقع الاهتمام بالدارج، فأيّ دارج نعتمده في العالم العربي، والدارج دوارج.

(١٧) يمكن الاسترشاد في هذه النقطة بالكتاب التعريفي / القواعد الفنية، الذي وضعته اللجنة العلمية لموسوعة أعلام العرب والمسلمين. تونس: ١٩٩٩.

(١٨) علي القاسمي "المعجم التاريخي هل نستطيع أن ننجزه بعد مئة عام ؟" موقع google بتاريخ ٢٨ فبراير ٢٠٠٨.

(١٩) صادق عبد الله أبو سليمان "نحو